صحيفة المرأة المسلمة

العدد : ٢٠٤ الموافق في رجب ١٤١٩ هجري ١٢ / ١٩٩٨ ميلادي

عنوان المقال : إنسان بلا أخطاء	بقلم : سها عبد الحميد أحمد

لم أركِ قط... ما عرفتك يوماً... لكنني الآن أعرفك جيداً... بعد أن شيعتُ ولدك إلى مصح نفسي وإلى أجل غير مسمى . وتركتُ معه فؤادي ينزف دماً... وعدتُ وحيدةً لأرى ورقة طلاقي تنتظرني... ولم يصعقني محتواها... فقد كان دائماً ينظر إلي أنني أسيرة مشاعره وآلامه ويردد على مسامعي بعد جولاته الخاسرة في إنسانيتي وأنوثتي : أنت أسيرتي .

وها أنا أرى قسمات وجهك بأدق تفاصيلها على سطور صفقة تربيتك الخاسرة... لكنك رحلت كأم وما تزال الأمهات يمارسن أمومتهن مع آلافٍ مؤلفة من الفتيات والفتيات أهدي إليهن فاجعتي المؤلمة ومأساتي التي لا حول لي فيها ولا قوة .

لقد مضت سنوات أربع على زواجي من ابنكِ الضحيّة ، وقد أحببته من الصميم ، وأقبلت عليه بشغف وصدق ، لأكون له ومعه وإليه ، وفوجئت بعد اقتراني به وعجزه المؤلم عن العيش معي كما يعيش الأزواج ، أنّ في داخله أشلاء من القتلى وضحايا من الألم تأسره وتطلع عليه كلما خيم الظلام ، كأشباح مدمنة على ترويعه وتعذيبه... إحساسي الشديد به جعلني أستعين بالله أن يمدني بالعزم والصبر والقوة لأداوي جروحه ، فالأمل الذي كان صارخاً بكياني جعلني أتبنى إنسانيته... لكنني عجزت أن أنقذ عجزه لكي يعيش حياة طبيعية ، فصدره مأسور بصور طفولته الصارمة... لقد احتجت زمناً خاصاً لأفتح باب أعماقه المغلق كالزنزانة ، وأتسلل إلى سراديب ماضيه ، كانت ضربتك الأولى على عورته لأنك أحسست أن مجموعة من الصغار يعبثون العبث البريء في لعبة طفولية ، فانهلت عليه ضرباً مبرحاً ورافقت ضرباتك له وعوداً سخية بتعذيب أشد وأعنف لو أنه فعل وفعل ، وكلما كبر كنت ترافقين سلوكه بضربات تزداد عنفاً وجهلاً لا تبالي بعمق الآبار والأنفاق في إنسانيته .

وغضبك الجنوني عندما عثرت على مجلة أجنبية في البيت لم تستأذن من جمارك سيادتك قبل أن تعبر حدود سكان البيت ، ولو تمهّلت قليلاً قبل أن تصفعيه على وجهه لعرفت أنها تسللت إليكم خطأ... لقد بالغ أذى حبُّك له إلى أن وهرتِ إنسانيته حتى الصميم وظهرت مع أبيه كراهية... لقد ألف صرامتك الغامضة على مداركه الغضة ، وحاول جاهداً أن يرضيها ويكون مثالياً صرفاً ، وتحوَّل بفضل حنانك إلى لعبة من ألعاب مسرح العرائس يلعب الدور الذي تخرجينه سواءً استساغه أم لا ، قَدَرَ على أدائه أم لا... المهم أن يؤديه بإتقان ويصفق له الجمهور بحرارة... حجر شطرنج قلت له ارتق وكن رجلاً

فكان... أردت شهادة عظمى بتفوق وكان لك ما كان... وحتى بعد أن رحلت تزوّج بالشروط التي أمليتها عليه... وعندما انتهيت برمجته التربوية وتلقينه اللازم... بأن يرى بعينيك ويسمع بمسامعك... أراد أن يمارس حياة فطرية طبيعية... إنسانية بلا قواعد وسلاسل وقيود ، وبلا أخطبوطِ الثالوث المعروف بعوالمنا الشرقية : العيب والحرام والخطأ من دون توضيح أو صبر أو حوار... عَجَز عن ذلك تمام العجز .

إن الدموع التي كان يخاف حتى أن يطلقها معبرة عن رفضه لأسلوبك ، وتمرده على طرق تربيتك ، وسَجَنها طويلاً وراء مقلتيه ، جعلته يزرفها مدراراً على فراش الزوجية... عنيناً رغم عافيته التي وهبها الله له .

عاجزاً رغم تفوق ملكاته .

قهرتِه عن جهل أمْ عن علمٍ لا أدري

رفعت شعارَ العصا من الجنة

لكنّ إنسانيته المذبوحة أبلغتني أنها في أغوار جهنم

أردته إنساناً بلا أخطاء... ليخالف الفطرة ؛ فكان كما أردت ، وها هو كبر وغدا رجلاً كقالب بكل ما في الكلمة من معنى ، لكنه أمامي وأنا زوجته ، والزوجة تعرف زوجها عارياً على حقيقته ، رأيته حصالة وقّرت كل العقوبات بما فيها من صور وأحداث ، لتصبها في أحلى أيامي حزناً بليغاً

وتمرداً فاقداً لإرادته

وجبروتاً حازماً شلّ أعضاءه رغم سلامتها

وها أنا الآن في الخامسة والعشرين يشار إلي كزوجة عادت إلى بيت أبيها... لماذا ؟! سؤال أمامه عشرات إشارات الاستفهام... وأنا عذراء ومطلقة رغم أني حبيبة ومُحبة

أحمل ذنبك جواباً لكل الأمهات اللواتي يغضبن... ويوبخن... وتطيش أيديهن بلا ضوابط ولا رحمة... أيَّ حياة تودونها لأولادكم في المستقبل ؟ فتية وفتيات

وليكن لكنّ في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة

فإنه ما ضرب طفلاً قطّ